الوظيفة الاجتماعية للغة

أ. جناوي عبد العزيز

قسم علم الإجتماع

جامعة زيان عاشور - الجلفة

تعد اللغة من الخصائص الإنسانية، بحيث يقدر على استخدامها سواء كانت منطوقة أو مكتوبة لتحقيق التواصل وتحقيق الغرض.فالجنس البشري يتكلم في كل زمان ومكان، وبالتالي فهو يستشعر تلك الحاجة الأصيلة للتعبير عن أفكاره وتصوراته والمشاركة الوجدانية وتبادل الآراء والمواقف والخبرات التي تؤلف ثقافة المجتمع والمشاركة في النشاط الاجتماعي، فلا اجتماع بدون تواصل ولا تواصل بدون لغة.

هذا ما حدا بالعلماء في مختلف التخصصات إلى دراسة اللغة من عدة جوانب، سواء كانت في مجال اللسانيات، أو علم النفس اللغوي أو علم الاجتماع اللغوي أو الانتروبولوجيا ، وقد نتج عن هذه العلاقة تراكم معرفي وفكري وظهور تيارات فكرية في هذا الاتجاه.إن اللغة لا يمكن أن نفهمها بوضوح إلا من خلال الدور الذي تؤديه في حياة الإنسان وحياة الجماعة اللغوية الواحدة التي تجمع بينها قواسم مشتركة روحية ، فكرية وحضارية بشكل عام .

في معنى اللغة

إن للغة دورها وأثرها في الحياة الإنسانية، ويتجلى هذا الدور في الاستخدامات المتنوعة سواء كانت فردية أو بشكل جماعي في شتى مجالات الحياة الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والثقافية.إن معنى العام للغة يقصد به الرموز والكلمات التي يستخدمها مجتمع معين للتعبير عن تصوراته ومدركاته، على أن واقع اللغة أكثر من هذا اتساعا وشمولا وهي تتميز بمعاني واسعة تتمثل في[1] :

- الكلمات المعبرة عن تحديد ووصف الأشياء والظواهر.
- الصياغة اللفظية للمفاهيم والمدركات.
- بناء صور الجمال اللفظية والمرتبطة بالتعبيرات الفكرية.
- نظام القيم الجماعية والفردية من خلال التعبيرات اللفظية أو السلوكية.

و يبرز(**بلومفيلد**) دور اللغة في شتى مجالات نشاطات الحياة الاجتماعية إذ يقول: " نحن نستخدم اللغة في جميع أوجه حياتنا. نستخدمها للتعبير عن مشاعرنا وإحساسنا، نستخدمها لنقضي بها حاجاتنا، أو لنتوسل لقضاء تلك الحاجات، نستخدمها لنقل الخبر أو الاستعلام عن أمر، نستخدمها للنفي، ونستخدمها للزجر والنهي. نستخدمها في المراسم الاجتماعية والشعائر الدينية، ونستخدمها لتقوم مقام الحدث أو الفعل، ونستخدمها للتشجيع أو لتثبيط الهمم ونستخدمها للإقناع، نستخدمها للإعلان والدعاية والتأثير في الناس، ونستخدمها في الأغاني والشعر والخطابة، نستخدمها في تنظيم علاقاتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ونستخدمها للتعبير عن تراثنا الشعبي بأشكاله المختلفة كما نستخدمها في محاولة إصلاح المجتمع أو إفساده، وفوق ذلك كله فنحن نستخدم الشكل المكتوب منها لتدوين ما نريد من صكوك ومعاهدات ووثائق،

[1] حامد ربيع : العلاقة الاتصالية بين المفهوم القومي والتطور الاجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، أفريل 1984، ط1، ص250.

ولتدوين تراثنا من أدب وعلم وفن ودين وقوانين ووجوه أخرى كثيرة من وجوه المعرفة، فنحفظ هذه الوثائق وذلك التراث للأجيال المقبلة، ويضيفون هم عليها كما أضفنا نحن إلى ما سبقنا، فتتكون من حصيلة كل هذا الحضارات المحلية والحضارات العالمية"[1].

فاللغة بهذا المفهوم لا تدع مجالا إلا واقتحمته ، بل إنها تساهم بشكل أساسي وفعال في صنعه فلا شيء يتم بعيدا عنها فالعملية تتم بها ومعها ، ولكن قلما يفكر الإنسان في أهميتها ووظيفتها من ناحية وفي مقدار تعقيدها من ناحية أخرى.

إنها تلازمنا منذ الولادة ونكتسبها بدون تكلفة أو تلقين، بحيث تمثل لنا شيئا طبيعيا من ديمومة الاستعمال اليومي لها في شتى مجالات الحياة. ولأن كل إنسان يكتسب لغة قومه من غير عناء كبير ومنذ طفولته المبكرة، فهو يولد وهي معه، وتلازمه وهو ينمو عقليا وبيولوجيا واجتماعيا.

فالإنسان يستخدم اللغة في حياته اليومية ، يستعملها بيسر وسهولة، لكن الأمر يختلف بالنسبة للذين يستبطنون اللغة ، مثل العلماء بحثا عن فلسفتها وتاريخها وعلاقتها الجدلية مع ما تنتجه. والحقيقة المقررة هي أن اللغة ومحيطها ذات عضوية واحدة ، ومن المجافاة تجزئتها والفصل بينها.

وإذا ما استعرنا مقولة أن الإنسان حيوان ناطق، فان هذه النطقية تدل على دلالتين[2]:

- **دلالة الكلام.**
- **دلالة العقل.**

فاللغة تلازم العقل من حيث هي علاقة بين الكلام والتفكير، فهي الأداة الرئيسية المعبرة عن التفكير، وتتجلى قيمتها في أنها الصيغة التي تحدد المفاهيم والمعاني المجردة، فمن خلال التعامل مع الأشياء والناس تتكون لدى الفرد مجموعة من المفاهيم والتصورات التي يقتبسها من الوسط الاجتماعي الذي ينتمي، ويستخدم اللغة لتحديدها مكونا خصائص مشتركة مع أفراد مجتمعه التي تعد فيما بعد رموزا. ويستعين الإنسان للتعبير عن هذا التفكير بالكلام والكتابة في سياق التواصل مع الآخرين من حيث التفكير والاتجاهات. ولذلك فالإنسان يجمع بين ما هو ناطق وما هو اجتماعي، فدلالة العقل ودلالة الكلام متلازمان. ومن هاتين الدلالتين تنشأ وظيفتي التواصل والاتصال *communication* بين الأفراد والجماعات[3].

إن الجماعة تتميز بسلوك لغوي وبأفكار ومواقف اجتماعية، وتتفق على استعمال رموز لغوية تحمل فيما بينها دلالات على التفاهم والاتصال الذي لا يتم بين المرسل والمستقبل إلا عن طريق الرسالة. والرسالة هنا هي اللغة ومحتوى اللغة التي تحمل أفكارا ومفاهيم وأحاسيس المرسل والتي يصوغها في كلمات وإشارات ومعاني.

فاللغة نسق من الإشارات موجود في مجتمع ، وكل كلمة تقوم مقام الرمز هدفها نقل المعنى ولها دلالة. فالكلمة تعمل على مستويين[4] :

- مستوى اللفظ والكتابة.

---

[1] محمد السيد علوان : المجتمع وقضايا اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية *1995*، ص*108*.

[2] عبد العزيز البسام : العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، أفريل1984، ص*43*.

[3] المرجع السابق، ص*108*

[4] المرجع السابق، ص*93*

- مستوى المعنى والذي له أهمية في نقل المعلومة.

إن هذه العملية لا تتم إلا بالمدونة *corpus* التي هي الوسيط الممكن من الاتصال. وهذا الأخير يرتكز على ثلاثة عناصر رئيسية:

- المرسل الذي يمكن أن يكون فردا أو مؤسسة أو هيئة.
- المستقبل.
- نظام من الإشارات والرموز والتي تتضمن محتوى.

فالمرسل يرسل رسالة إلى المستقبل، وتتطلب الرسالة محتوى أو مضمونا يمكن للمستقبل فهمه، أو تأويله وقد يكون كلاما، ومن ثم تتطلب الرسالة عملية اتفاق وتنظيم مسبق على معاني الألفاظ والرموز بين المرسل والمستقبل.

فاللغة كموضوعا للتحليل الوظيفي لها ، فهي من الناحية تبلور الخبرات البشرية وتجارب الأمم في السياق المعرفي، ومن الناحية النفسية فهي تستعمل للتعبير عن الأحاسيس والشعور وأحداث استجابات لدى الفرد.

فاللغة تأخذ في هذا الاتجاه مناحي ثلاثة أساسية في عملية التواصل:

- المنحى المعرفي الذي يتضمن العمليات الفكرية وعلاقتها باللغة كالتفكير والفهم والتحليل.
- المنحى الانفعالي والذي يدل على الجانب الشعوري والأحاسيس وما يحمله المتحدث من عاطفة في المواقف والمناسبات الاجتماعية.
- المنحى السلوكي ويتعلق بالاتجاهات والمواقف والآراء وعلاقتها في عملية التواصل اللغوي.

وقد صرح عالم الانتروبولوجيا (**مالينوفسكي**) في دراساته للمجتمعات "أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التوصيل.بل هي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، أي أنها جزء من السلوك الإنساني أو أنها ضرب من العمل."[1]

يرى عالم اللسانيات (**تشومسكي**) اللغة على أنها هي ملكة، فالطفل عندما يشرع في الاستماع إلى والديه، في هذه الحالة فهو يعرف لا شعوريا أي نوع هي لغته. ويشير(**جيروم برونر**) من خلال استنتاجاته للبرنامج ***LASS*** (***Language Acquisition Support System***) الذي قام بتطبيقه على بعض العائلات الكندية حول علاقة اللغة بالعائلة أن تعليم اللغة لدى الطفل يتم من خلال ثقافة الأسرة المحاطة به، وخاصة علاقة الطفل بالأم (**لغة الأم**)[2].

فالأسرة تكون نوع من سيناريوهات تقليدية تتمثل في الحركات اليومية ،و تواصل الخطاب الذي يخضع لقواعد صارمة داخل النظام الأسري. ومما يدعم هذا الطرح أفكار العالم النفساني ***(جون ماكنامارا)*** الذي يرى أن تعليم اللغة ينشأ من:

- سعة الفهم لدى الفرد.
- المشاركة الفعلية للنشاط الاجتماعي للجماعة اللغوية.

[1] انفس المرجع، ص07

[2] *Thimothy Simon :Conference 98،WWW.club.net* بتصرف

و ندرك من خلال هذه الآراء على اختلافها، أنها لا تركز على الجانب الإتصالي في اللغة، فهي ليست مجرد أداة تواصلية فقط ، بل هي فاعلة في الجهاز الفكري والوجداني تثيره وتصنعه وتتفاعل معه باستمرار وفق ما يقتضيه الطابع الاجتماعي للإنسان.

و يمكن استخلاص عدد من الخصائص التي تميز اللغة عن غيرها ومنها[1] :

- أداة للتعبير عن تجارب الإنسان وخبراته ومعارفه.
- تستخدم للتعبير عن الأشياء العينية والأشياء المجردة.
- لغة الإنسان مركبة وتتألف من وحدات وقواعد.
- لغة الإنسان محكومة بقواعد يفرضها عليه المجتمع.
- يستعمل الإنسان رموزا للتعبير عن أفكاره وتصوراته.
- يكتسب الإنسان لغته من المجتمع الذي ينتمي إليها.

اللغة والكلام

إن اللغة تنبع من أنها هي المفتاح لفهم الكثير عن السلوك البشري الخاص بالافراد أو التفاعل بينهم، ولذلك فان تحليل لغة مجتمع ما لا يعطينا مفتاحا للدخول إلى ثقافتهم والتعرف على أفكارهم فحسب، وإنما يتيح لنا التعرف على بنية العلاقات العملية التي يقوم عليها المجتمع. ويمكن أن نصوغ تعريفا شاملا و وظيفيا لمفهوم اللغة من الجوانب الفسيولوجية ، الاجتماعية ، التاريخية والعقلية، والتي تدل على الحياة الوظيفية للغة.

قد يبدو لأول وهلة إن اللغة هي ذلك الكلام المنطوق والمسموع المتداول بين الناس ،إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هناك فروقات بين الكلام المعبر عنه واللغة في مضمونها. فالكلام كما أشار إليه القاموس الاصطلاحي لعلم النفس هو " ذلك التواصل من خلال نسق الرموز الصوتية الاصطلاحية الذي يأخذ الشكل المنطوق"[2].

فهو يعبر عن ذلك المنطوق المفهوم بحيث يستخدم الفرد كلمات للتعبير الشفهي بغرض توصيل المعنى أو الرسالة. فدواعي الكلام بغرض الحاجة سريعة لا تتيح وقتا لتمثل البنى اللغوية المتفق عليها ومراعاة لنظم القواعد.إذ لو راعى الكاتب مثلا قواعد النظم والبلاغة ليعبر عن فكاره ما أمكنه ذلك ولتحول انشغاله من تعبير عن فكرة إلى الانشغال عن كيفية التعبير. يميز عالم اللسانيات **(دي سو سير)** بين ثلاثة مفاهيم:

[1] جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، العدد 145، ص12.

[2] نفس المرجع، ص57.

- **الكلام:** ما ينتجه المتكلم على المستوى الفردي.
- **اللسان:** الكلام المشترك في عملية التفاهم.
- **اللغة :** هي تمثل المظهر الرسمي الموروث ذا النظام اللغوي المتجانس المستعمل بين أفراد المجتمع.

على هذا الأساس يعرف (**دي سوسير**) اللغة" بأنها تنظيم من الإشارات والرموز. فهي تعني مؤسسة اجتماعية قائمة بين مجموعة من الأفراد"[1]. وبالتالي وانطلاقا من هذا التعريف يتضح أن اللغة في بعدها الوظيفي نشاط إنساني تخضع لمجموعة من القواعد التي تتحكم في السلوك الإنساني.إذ يبدو التساؤل عن وظيفة اللغة لأول وهلة أمرا عاديا، فالناس يمارسون اللغة في مختلف جوانب حياتهم دون أن يشغلوا أنفسهم أو يعطوا اهتماما بتحديد الوظائف التي تؤديها اللغة لهم.و نعتقد بأن اللغة هي نقل الأفكار والاهتمامات في عملية تراكمية، إلا أن هذا التواصل يتم بصورتين إحداهما أفقية تزامنية (*Synchronique*) والأخرى تاريخية (*Diachronique*) . فالتواصل في الأولى يتم في زمن واحد ويتصف بالاجتماعية أكثر، ويتم في الثانية بين زمنين فأكثر ويتصف بالتاريخية.

و يمكن أن نسوغ في علاقة اللغة بالكلام تصور (**دي سوسير**) في جدول مقارنة الفرق بين الكلام في مدلوله الفردي والمحدود في مجال علاقات الاتصال، واللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تحوي مجموعة من الرموز والمعاني الدالة على التواصل الاجتماعي.

جدول مقارنة يمثل الفرق بين الكلام واللغة

اللغة	الكلام
- ظاهرة اجتماعية تستخدم لتحقيق التفاهم بين الناس. - تدرس من خلال منظورين ثابت ومتطور. - اللغة تنظيم من الإشارات والرموز. - اللغة مؤسسة اجتماعية وهى واقع اجتماعي. - اللغة نتاج يرثه الفرد.	- الكلام ينتجه المتكلم. - الكلام عمل إرادي يقوم به الفرد. - الكلام مظهر لغوي محدد.

في هذا المجال يمكن أن نتكلم بصورة عامة عن الوظائف العامة للغة في إطار مفاهيمي، والتي تتعدد بتعدد مجالات استعمالاتها حسب الخصوصيات الفردية والجماعية، بدء بالحاجات الفردية الأولية كالرغبة والانفعال والتعبير عن المشاعر وفي المناسبات إلى الاستعمال في الفضاء الاجتماعي الواسع.

اللغة والمجموعة الإجتماعية.

إن تحصيل الفرد للغة يتم تدريجيا بالموازاة مع تحصيل المضامين الاجتماعية التي تحتويها اللغة، فهو لا يكون لغة فحسب إنما يكون مواقف روحية وفكرية ونفسية واجتماعية بحسب العلائق التي يقيمها مع ما حوله. فالفرد وهو ينمو له القدرة على تعلم لغة مجتمعه، وتتم نشأته على التفكير والتعبير بها، والتواصل

[1] المرجع السابق، ص51

بها مع الآخرين، وتبادل الخبرات بواسطتها.فهي تأخذ المظهر الجماعي والذي يعد المظهر الأبرز دلالة على الهوية الاجتماعية من خلال علاقات التواصل.

إنها الأساس لأنماط السلوك الإنساني التي تؤلف ثقافة المجتمع، وتضمن انتقالها عبر تراكم معرفي من جيل إلى آخر باستمرار، وعن طريق اللغة يستطيع الإنسان أن يستوعب خبرات الآخرين، ويكيفها ضمن علاقات اجتماعية دون التخلي عن خبراته وتجاربه.ويكشف تحليل اللغة عن التنظيمات الاجتماعية السائدة وأنماط العلاقات القائمة فيها بما فيها علاقة النسب والقرابة وعلاقة الجنس بين الذكر والأنثى وعلاقة العمل، وما يشتمل عليه من أنواع الحرف والمهن والصناعات. وعن طريق اللغة يتم استيعاب القيم السائدة وما تشتمل عليه من المواقف والاتجاهات تجاه الخالق والكون والحياة.

إن الانتماء إلى الجماعة يعتمد إلى حد بعيد على ما توفره اللغة من فهم وتعبير ومن إمكانيات التعاون والمشاركة في النشاط المجتمعي ، والحفاظ على كيانه وعلى ثقافته وما ينطوي عليه من نظم القيم والأفكار والاتجاهات وتكوين الإرادة الواحدة بين أفراد المجتمع.

إن الفرد لا يشعر بالانتماء إلى الجماعة اللغوية إلا من خلال الكلمات التي كانت الروابط الوجدانية في علاقته الإتصالية الأولى مع العائلة كجماعة مرجعية وأعطته صفة العضوية داخل الجماعة، وتخلى عن عالمه الفردي واصبح يقبل قيم ومعايير الجماعة لكي يحصل على هويته الاجتماعية ويثبت وجوده الاجتماعي عبر اللغة. فانتقال الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي يتم أساسا عبر اللغة.

فاللغة قد تكون أعظم قوة في تنشئة الأفراد *Socialisation* وتكييف مطالب مجتمعهم واستيعاب خصائص أمتهم وتمثلها في سلوكهم، بحيث في البدايات الأولى للتنشئة الاجتماعية ينشأ لدى الفرد ذلك الإحساس بالانتماء للجماعة التي تربيه على تكوين هويته في أبعادها الاجتماعية والثقافية[1].

هذه التنشئة الاجتماعية بواسطة اللغة تتم أولا داخل العائلة، ويتبنى الفرد هذه اللغة التي تكسبه العضوية في مجتمعه ، ويستطيع أن يقدم نفسه إلى الآخرين من خلال أنماط سلوكية واجتماعية يستعين بها لتحديدها باللغة، والتي تعبر عن ثقافة العائلة التي هي مجموع من الأفكار والمعتقدات والقيم التي تعتبر كقانون من خلاله تتحقق التنشئة الاجتماعية التي تمثل اللغة فيها المحرك الأساسي للاندماج الاجتماعي.

لا شك أن للتربية وهي تستخدم اللغة لها مساهمة كبيرة في تحقيق هذه الوظائف في الأفراد والجماعات.وهذا ما عبر عنه (**مالينوفسكي) "بالمشاركة العامة**" كنموذج للسلوك اللغوي وهي تبادل الكلمات والعبارات من اجل وظائفها الاجتماعية لا من اجل معناها الإشاري أو الأدبي وهو يركز على دور اللغة ومحتواها الاجتماعي ومن خلالها نعرف المكانة الاجتماعية والهيبة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية للمشاركين"[2].

فاللغة ليست وسيلة للاتصال فقط بل هي الرابطة التي تعكس الانتماء الاجتماعي للفرد داخل الجماعة، حيث يتقاسم معها عددا من الشروط اللغوية كتواضع أفراد المجتمع على صيغ وتراكيب نحوية وما يتصل بالنظم والتعبير من كناية وحذف واختصار...الخ.

---

[1] عبد العزيز بسام : العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي، ص48

[2] محمد السيد علوان: المجتمع وقضايا اللغة، ص142

إن من حيث البعد الاجتماعي للغة الذي يتميز بتنوع الأدوار والمكانات الاجتماعية في النشاطات الاجتماعية، فإن اللغة تعتبر عاملا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية . فاللغة هي صورة السلوك الإنساني الشاملة التي تنطوي على الاتصال الرمزي من خلال نسق النماذج الصوتية المتفق عليها ثقافيا، والذي يحمل معاني. وتعتبر اللغة جزءا من التراث الثقافي ومعبرة عنه في نفس الوقت.

هذا وتتحول الأصوات التلقائية في اللغة إلى رموز ثقافية قادرة على توصيل الأفكار، الرغبات، المعاني ، الخبرات والتقاليد من جيل إلى آخر. واللغة نتاج اجتماعي تمثل التجارب المتراكمة والراهنة، والعواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة، بالإضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي، والتفكير، ومعرفة الذات، ومعرفة الآخرين، وهي لذلك ضرورية للوجود الاجتماعي.[1]

يدل على ذلك أن طبيعة المجتمع تصير طبيعة للغة وبتحليل اللغة يمكن تحليل شخصية المجتمع وإدراك مواقفه على مختلف الأصعدة ، فالتعبير بصيغة الجمع مع المخاطبين في الأدب الأوروبي يعكس سلطة الأرستقراطية وخضوع العامة فيعبرون عن المفرد بالجمع.

من هذا المنطلق فاللغة تعتبر عامل اندماج أو انقسام كما أنها الوسيلة الرئيسية للتحول الثقافي ، وكما عبر كلا من (**بارك**) و(**برجس**) في كتابهما "مقدمة لعلم السوسيولوجيا" "إن الاندماج هو عملية تغلغل والتحام يكتسب الأفراد والجماعات من خلالها اتجاهات وعواطف أفراد وجماعات أخرى، بحيث تستوعبهم الثقافة العامة نتيجة المشاركة في الخبرة والتاريخ".[2] وهذا ما يتضح جليا فيما يعبر عنه بالغزو الثقافي ، نتيجة فراغ المجتمعات المولعة بثقافة الغير والانبهار بإنتجاته، والتأثر بسلوكياته وأفكاره ونمط حياته. وفي مقدمة هؤلاء اللغة التي هي وعاء التي يتشكل فيه الفرد.

ذكر(**سابير**) "أن الشعوب التي لها لغات مختلفة تعيش عوالم الحقيقة مختلفة من التوجهات وأنماط الحياة والتفكير"[3]. وهذا يصدق على لغات الهنود المفعمة بالغيبي والرمزي المسكون بحب الماضي وعبادة الذاكرة ، بخلاف المجتمع الأوروبي الحديث الذي يعبر عن حقيقة اجتماعية تحكمها الواقعية وتحوطها التجربة وتحفزها المنفعة.

على هذا الأساس يمكن أن نستخلص من خلال التعريفات السابقة النقاط التالية:

- إن اللغة تؤلف ثقافة المجتمع.
- لها القدرة على تنشئة الفرد اجتماعيا.
- عنوان الانتماء الاجتماعي داخل الجماعة.
- عامل اندماج أو انقسام .
- معرفة المكانة الاجتماعية وتحدد العلاقة بين الفاعلين الاجتماعيين.

مفهوم دجلوسيا

يشير اللغوي الأمريكي (**تشارلز فرجسون**) إلى مفهوم **دجلوسيا *Diglossie*** والذي عنى بهذه الدراسة في المجتمع العربي (**النموذج المصري**) " حالة لغوية ثابتة نسبيا يوجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية نمط

---

[1] محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الاجتماعية، الاسكندرية،مصر*1989*، ص*265- 266*

[2] *Park Robert Ezra and Burgess:introduction to the Science of Sociology*عن بوزيد صحراوي: حول مفهوم اللغة وامتداداته الاجتماعية، مجلة بحوث، العدد05/1998، ص*40*

[3] *khaouala taleb ibrahimi : les Algeriens et leurs langues ;les editions el hikma;1997; p79*

آخر من اللغة مختلف "[1] . ويميز بين نمطين أو مستويين في بعض مجتمعات الكلام من نفس اللغة التي تستخدم في المواقف الاجتماعية المختلفة، ويمثلان هذين المستويين من مستويات اللغة[2] :

- المستوى الرفيع أو العالي ***high*** : الذي يمثل مستوى من الخطاب أو الكلام المتميز بأسلوب رفيع ومتطور.
- المستوى الأدنى أو العامي ***low*** : يتضمن ذلك الأسلوب المحدود والمتدني في المفردات اللغوية في اللقاءات العامة أو الخاصة.

و وضع قائمة للمواقف الاجتماعية التي تستخدم فيها كل من هذين المستويين ضمن جدول مبين أدناه.

المواقف الاجتماعية	المستوى العالي (***high***)	المستوى الأدنى (***low***)
• الصلاة في المسجد أو الكنيسة.	X	
• إصدار التعليمات للخدم والعمال والكتبة.		X
• بعض الخطابات الشخصية.	X	
• المحادثة في البرلمان والخطب السياسية.	X	
• المحاضرات الجامعية.	X	
• الحوار مع الأسرة والأصدقاء والأقران.		X
• نشرات الأخبار.	X	
• الصحف والقصص وعناوين الصور.	X	
• التعليق على الكاريكاتير السياسي.		X
• الشعر والأدب والقصص.	X	
• الأدب الشعبي.		X

إن الاحتكاك بين لغتين أو أكثر هو النوع الأكثر وضوحا للاختلاف اللغوي الذي يمارسه الفرد، إننا نجد أفراد يجيدون أكثر من مستوى للغة الواحدة ويمكن ملاحظاتهم وهم يتحولون في مواقف مختلفة من إحدى اللغات إلى الأخرى، حيث يمكن أن يتكلم الفرد مستوى لغويا في المنزل ويتحول إلى آخر في المدرسة أو

[1] عبد العزيز بسام: العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي، ص61

[2] محمد السيد علوان : المجتمع وقضايا اللغة، ص129- 130

العمل.وهذا ما يجعل كلامه متميزا الأمر الذي يعكس خبرته والمستوى اللغوي الذي يستعمله وهذا راجع إلى الأسباب التالية[1]:

- الرسالة اللغوية النقية وهي كمية المعلومات التي تتضمنها العناصر اللغوية والتي يتكون منها الأسلوب اللغوي.
- لها طابع شخصي أكثر منه لغوي وهي تعكس شخصية المتحدث ومشاعره واتجاهاته وميولا ته.

أما(**سابير**) يرى "إن مفردات اللغة تعكس بصورة واضحة المحيط الطبيعي والاجتماعي للقوم الذين يتكلمونها، ليس هذا فحسب بل إنها تعكس بعض المميزات النفسية للمتكلم أو الجماعة، ومن الخطأ أن نتصور إن الإنسان يمكن أن يتكيف مع واقعه دون استخدام اللغة."[2] ، من أهم العوامل التي تؤدي إلى وجود لغة متميزة أو خاصة،أو ما أطلقنا عليه اسم الجماعة اللغوية، وهي الجماعة التي تتشابه فيها مجموعة العبارات التي يتعامل بها أبناؤها على نحو يمكنهم من الفهم المتبادل والخصائص الطبيعية للجماعة. وهذا ما أشار إليه (***و.ن.جانسن***)

وهي[2] :

- يوجد افتراض عام بأن لغة أي جماعة لها خصائص متلازمة ومتأصلة في طبيعة الجماعة، لأنها تنتمي إليها، ولم تتشكل إلا فيها وعن طريقها.
- تعكس لغة الجماعة التصورات الداخلية عن نفسها، وكيف تنظر لنفسها، وكيف تتصور تفسيرات الآخرين عنها.
- تعكس لغة الجماعة التصورات الخارجية عن جماعة أخرى، كيف تنظر إلى الجماعة الأخرى، وما هو تخيلها عن إحساس الجماعة الأخرى عنها.

إن اللغة لها علاقة مباشرة مع الثقافة باعتبارها ملازمة لها وهي من الروابط المعنوية التي يتضح فيها العنصر الرمزي الذي يميز السلوك الإنساني وقد نجدها في العلاقات القرابية والمعاملات حيث تختلف في مدلولاتها ومضامينها، فهي وعاء لحفظ التراث الثقافي إن أفراد المجتمع يشتركون في تاريخ واحد تسوده أنظمة وأعراف وتقاليد اتفاقية وهي التي تنظم السلوك، ومدى ملاءمته ، وذلك في جوانب عديدة مثل: تناول الطعام، التنشئة الاجتماعية للأبناء، الاحتفالات، الزواج، وهو ما يطلق عليه في مجموعة ثقافة المجتمع. بمعنى آخر إن المجتمع الذي يستخدم لغة واحدة يعيش في ظل ثقافة واحدة.وهناك من يرى من الباحثين إن[3] :

- اللغة مرآة للثقافة تعكس خصائصها، تستخدم في تحقيق التفاهم وانتقال المعلومات والخبرات بين الأفراد.
- اللغة هي التي تشكل الثقافة وتحدد معا لمها.

---

[1] المرجع السابق، ص136

[2] جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص33

[2] المرجع السابق، ص66- 67

[3] نفس المرجع ، ص156

ونتساءل عن الإمكان الوظيفي للغة الإنجليزية في الدول التي تتكلم هذه اللغة كإنجلترا واسكتلندا وايرلندا والولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندا، واللغة الفرنسية كلغة مشتركة في فرنسا وبعض المستعمرات الإفريقية السابقة كالمغرب العربي عموما والجزائر خصوصا. فهل يعني هذا أن الشعوب التي تتكلم هذه اللغة أو تلك تعيش في ظل ثقافة مشتركة. ويقود ذلك إلى تأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية والسياسية. ولذا لا يمكن فصل لغة المجتمع عن ثقافته فهي علاقة ديناميكية تفاعلية.

يقول (**الدوز هكسلي**):" إن الثقافة البشرية والسلوك الاجتماعي والتفكير لا توجد في غياب اللغة. فاللغة هي وعاء الفكر ومظهر الثقافة والأداة التي يتم التفاهم بين الأفراد ومن الطبيعي أن الأساس الذي يقوم عليه هذا التفاهم هو الاتفاق على معنى واحد، فهي عماد الكيان الثقافي بمفرداتها وتراكيبها وأساليب التعبير عنها"[1]. وقد برهن(**مالينوفسكي**) في أبحاثه حول (دينامية التغير الاجتماعي) "أن للثقافة بعدا تاريخيا يمارس تأثيرا مباشرا على الشخصية.... وتعكس السمات الشخصية الفردية والجماعية في أشكال عديدة منها النسق العائلي، الاقتصاد، العمل..".[2]

اللغة والعائلة

يشير (**بورديو**) إلى أن الكلام لا يأخذ الشكل الظاهري منه أو الموقف الشخصي على مستوى الفرد بل تدخل معطيات اجتماعية كالجنس، مستوى التربية، الأصول الطبقية، السكن....الخ

لتحديد علاقة اللغة أو الفعل الكلامي بالبنية الاجتماعية. فالتفاعل اللغوي لتلك البنية ينشط باستمرار " من خلف تكلم". ويذكر "إن علاقات التواصل هي علاقات سلطة، وفعالية هذه السلطة لا تنشط عبر نظام القوى الفيزيقية بل ضمن نظام رمزي معترف به. فالكلمات هي التي تشارك في تكوين العالم الاجتماعي"[3]. إن فعل الكلام يتمظهر من خلال :

- **الجبلة التربوية Ethos Pédagogique** : تتمثل في العائلة التي تتكلم لغة واحدة وفي المدرسة التي تتفق مع ثقافة العائلة وتعتبر المرجعية التي تقوم بالنشاط التربوي والتعليمي.
- **رأسمال ثقافي capital culturel** الذي يحمل الثروة الثقافية التي تنقلها النشاطات التربوية العائلية.من خلال أدوات تربوية كالكتب ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية التي تتفق مع توجهات العائلة والجماعة التي لها لغة مشتركة واحدة.

تناول (**بورديو**) اللغة كموضوع للتحليل من خلال استعمالها الاجتماعي بدل من النظر إليها على أنها خاصة بالتفكير والجانب العقلي منها. فالتواصل عبر الكلام يحمل في مضمونه بنية علاقات القوة وفعل سلطوي من خلال الممارسات.(مثل العنف الرمزي الذكوري تجاه النساء الذي يتطرق إليه بورديو في تحليلاته باعتباره علاقات قوى يوجهها الرجل كنوع من السيطرة في إطار ارث تاريخي اجتماعي) "إن العلاقات اللغوية هي دائما علاقات للقوة الرمزية، عن طريقها يتحقق علاقات القوة بين المتكلمين وجماعاتهم في صورة مبتذلة مظهريا، وفي النتيجة يستحيل تأويل فعل التواصل في حدود التحليل اللساني وحده" [4].

---

[1] المرجع،السابق، ص143

[2] محمد العربي ولد خليفة: المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،*1989*، ص*139*

[3] "Ce que parler veut dire" ,Liberation ; 19/10/1982 ; page28

[4] بيير بورديو" اسئلة علم الاجتماع"، ترجمة عبد الجليل الكور،دار توبقال للنشر، المغرب،ص103

انطلاقا من طرح (**بورديو**) لدور اللغة كمحدد لرأسمال ثقافي وموجه لعملية الصراع الرمزي ، " حين يتكلم الفرنسي مع الجزائري، والأمريكي الأسود مع الأمريكي الأبيض فذلك يعني أنهما ليسا شخصين يتكلمان فيما بينهما، بل عبرهما يتكلم كل التاريخ الاستيطاني وكل تاريخ القهر الاقتصادي، السياسي والثقافي. ويمكن أن نصوغ في هذا المجال ما ذهب إليه **منصف شلي** في دراسته، وبعد مقارنته اللغة العربية بلغات متشابهة كاللغة الفرنسية،" أن من يتكلم العربية عربي في كينونته، ومن يتكلم الفرنسية فرنسي في كينونته، ولا مجال للشك في أن الأول يختلف عن الأخر في وعيه وتفكيره وحياته الاجتماعي"[1].هذا اللقاء للفعل الكلام لا يمكن تحليله وتفسير ممارسته اللغوية إلا في إطار البنية المشكلة اجتماعيا التي تتمظهر في[2] :

- **سمت لغوي:** يعني السمت مجموع الاستعدادات الجسدية والذهنية الدائمة التي تترتب عن عملية التنشئة الاجتماعية للفرد والتي تحصل من فاعل اجتماعي في إطار حقل اجتماعي معين. إذ ليس متغير إنساني بل رحم توليدي مكون تاريخيا ومتجذر مؤسسيا ولذلك فهو متغير اجتماعي. وبالتالي لا يمكن فهم المعطى اللغوي إلا عبر هذا السمت وذلك من خلال الممارسات التي تتكامل معه وهو متمو ضع في النية الاجتماعية التي تعبر من خلال السمت اللغوي.
- **سوق لغوية**: والتي تعبر عن نسق من علاقات القوى الرمزية والتي تقترب من معايير اللغة المسيطرة ولها غطاء رسمي، وواقعة تحت هيمنة المسيطرين مالكي الكفاءة اللغوية المشروعة.

يقرر(**بورديو**)" إن أي نشاط تربوي هو موضوعيا نوع من العنف أو الصراع الرمزي، وذلك بوصفه فرضا من قبل جهة لتعسف ثقافي.معين" [3]و يعني أن العنف الرمزي إن يفرض المسيطرون طريقتهم في التفكير والتعبير، وإن التربية الأداة الرئيسية لتجسيد علاقات القوة ، وإضفاء الشرعية الرسمية عليها، والتربية مجال لممارسة علاقات النفوذ وهو يقرر أن مختلف الطبقات تشتبك في صراع رمزي للعمل على فرض تصور كل منها عن العالم الاجتماعي الذي اكثر ملاءمة لمصالحها وفرضه على الآخرين،

تطرق (**بزيل برنشتاين**) في دراسته " **اللغة والطبقات الاجتماعية**" **langage et classes sociales**" [4] حيث يتكلم عن مفهوم "العائق" اللغوي للأطفال الطبقة العاملة، وتطرح اللغة في مفهومها الاجتماعي وعلاقتها بالتسرب المدرسي والانحراف للأطفال الطبقة العاملة. وينطلق من الإشكالية الرئيسية حول مدى تحكم اللغة في النمو الاجتماعي والثقافي للأطفال المتعلمين.

يرى **برنشتاين** أن مختلف أشكال اللغة التي يتميز بها مختلف الطبقات الاجتماعية لها الأثر الواضح في النجاح الاجتماعي والسلوك..فالصورة التي يتكلم بها الأفراد تعكس علاقتهم ودرجة ا النمو الثقافي والمعايير التي تتصف بها الطبقة. في هذا الإطار يُرجع هذه المفارقة إلى وجود رمزين لغويين تستعملهما الطبقتين العليا والعاملة:

- لغة مستعملة من قبل العائلات لدى الأوساط الشعبية.
- لغة مستعملة من قبل العائلات المتوسطة والعاملة.

---

[1] جمعة سيد يوسف: مرجع سبق ذكره ،ص33

[2] بيير بورديو :المرجع السابق،ص105

[3] بيير بورديو : العنف الرمزي ،ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، ط1 ،1994 ،ص07

[4] Basil Bernstein "Langage et classes Sociales" , Les éditions de minuit ; Paris ; 1986.

لذلك لا يستعمل لغة بقدر ما يستعمل قواعد وهي الرموز، أي هناك رمزان:

- لغة أو رمز محدود Code Restreint ويستعمل عند الطبقات الشعبية والعاملة، وتمتاز بالتركيز على المحيط والعبارات العاطفية والانفعالية وتستعين بالحركات وأن العائلة لها نفس المعلومات والطابع الجماعي ونظام سلطوي.
- لغة أو رمز متطور Code Elaboré لدى الطبقة المتوسطة والعالية عن المعنى له صفة الشخصية ويغلب عليه الحوار والاتصال.هناك تطابق بين اللغة والطبقة الاجتماعية وهذا التطابق بين الرمزين هو السبب في النجاح أو الفشل لمدرسي للأولاد الطبقة.

إن الوظيفة الاجتماعية للغة وأثر هذه اللغة في عملية تنشئة الفرد اجتماعيا والتي من خلالها ينتسب الفرد إلى الجماعة اللغوية ودلالة التراكيب اللغوية لأفراد المجتمع وعلاقتها بالانتساب الاجتماعي تمثل عامل اندماج الفرد اجتماعيا.حيث أن أهمية النطق كنتاج اجتماعي يعكس خصوصيات الجماعة الاجتماعية والتي لها علاقة بالانتماء الثقافي- الاجتماعي للفرد عبر اللغة باعتبارها مؤسسة اجتماعية.

المراجع

- بيير بورديو : العنف الرمزي ،ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، ط1 ،1994
- بيير بورديو: اسئلة علم الاجتماع"، ترجمة عبد الجليل الكور،دار توبقال للنشر، المغرب،
- جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، العدد *145*،
- حامد ربيع : العلاقة الاتصالية بين المفهوم القومي والتطور الاجتماعي ، مركز دراسات الوحدة العربية، أفريل *1984*، ط1،
- عبد العزيز البسام : العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، أفريل1984،
- محمد السيد علوان : المجتمع وقضايا اللغة ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية *1995*،
- محمد العربي ولد خليفة: المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،*1989*،
- محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الاجتماعية، الاسكندرية،مصر*1989*،

Basil Bernstein "Langage et classes Sociales" , Les éditions de minuit ; Paris ; 1986

- *khaouala taleb ibrahimi : les Algeriens et leurs langues ;les editions el hikma;1997;*

مقالات

- بوزيد صحراوي: حول مفهوم اللغة وامتداداته الإجتماعية، مجلة بحوث، العدد05/1998

"Ce que parler veut dire" ,Liberation ; 19/10/1982

- Thimothy Simon :Conference 98،WWW.club.net